وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامعة ديالى
كلية العلوم الإسلاميـــــــة
قسم علوم القرآن الكريم والتربية الإسلامية

مفهوم النصر المستحيل في القرآن الكريم وانعكاساته على القيادة السياسية في تحقيق النصر على داعش الإرهابية

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن

من الطالبة

أسيل جواد مجيد

إشراف

الاستاذ الدكتور

عباس فاضل الدليمي

١٤٤٤ هـ ٢٠٢٣م

المستخلص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الكريم وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.أما بعد:

إنَّ هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على مفهوم النصر في القرآن الكريم. قد استلزم التطرق إلى الآيات القرآنية التي تحدثت عنه، وعن الاستعمالات المتعددة للصيغ والدلالات التي وردت فيها، كما تناولت الباحثة آراء المفسرين كعينة مقصودة، وردت كلمة النصر بمعانٍ كثيرة في القرآن الكريم كما جاءت بمعنى الإنتقام، والعون والمساعدة، والغلبة والظفر، وغيرها من المعاني الكثيرة.

وبيَّنت الباحثة مفهوم القيادة في النص القرآني، وتعريفها وذكر بعض الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمات تدّل على القيادة، وذكر بعض النماذج القيادية المهمة التي ذكرت في القرآن الكريم وأولها نبينا محمد صلى الله عليه وآله. والتركيز على جوانب الإعداد الإيمانية الروحية والخلقية والمهنية للقائد، وكذلك التركيز على الصفات القيادية للدكتور حيدر العبادي رئيس الوزراء العراقي الذي حقق النصر على عصابات داعش الإرهابية بعدّه القائد العام للقوات المسلحة في حينها، وهدفت الباحثة إلى إظهار الصور المشرقة للقيادات الربانية في القرآن الكريم لتكون مثالاً عظيماً نفيد منه الأجيال القادمة، وإنَّ لكل قيادة علمها وخصائصها وإعدادها، وعليها أنْ تؤدي الواجبات المناطة إليها كالقيادة المسلمة الصالحة. فالقائد يجب أن يمتلك صفات وسمات أخلاقية تجعل منه قدوة ومثالا يحتذى به على مرّ الأجيال، إنَّ الاشارة إلى عصابات داعش الإرهابية وظهورها في العراق، وأهدافها التي سعت إلى تحقيقها، وكيف إستطاع العراق مواجهتها وتحقيق النصر عليها وهزمها بجهود أبناء العراق جميعا، يستلزم نهجاً أكاديمياً لتحقق فرضية البحث والإفادة من مصادر قوة القيادة في القرآن الكريم، والتجربة العراقية العملية منذ عام ٢٠١٤-٢٠١٧.

المبحث الأول

تعريف النصر ومعانيه، والقيادة ودلالاتها

أولاً: تعريف النصر المستحيل لغةً واصطلاحاً، ومعانيه في القرآن الكريم

أ- تعريف النصر لغةً:

ترى الباحثة أنَّ تحديد مفهوم النصر المستحيل يمر عبر تعريف النصر من جهة اللغة

نصر: النون والصاد والراء أصل صحيح، يدل على إتيان خير وإتيانه، ونصر الله المسلمين: أتاهم الظفر على عدوهم(١).

النصر إعانة المظلوم، نَصَرَهُ على عَدُوِّهِ ينصره، ونصره بنصرةٍ نصرًا، والنصير: الناصر، والأنصار: أنصار النبي صلى الله عليه وسلم، غلبت عليهم الصفة فجرى مجرى الأسماء، وانتصر الرجل: إذا امتنع من ظالمه، وانتصر منه: انتقم(٢).

والنصر: العطاء، ونصر الأرض: أي غاثها، ونُصرِتْ الأرض: أي أُمْطِرت(٣).

والنصرة: حسن المعونة، قال الله جل في علاه: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إلى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾(١).

---

(١) أبن فارس، أبو الحسين أحمد بن علي، معجم مقاييس اللغة، الطبعة الاولى (دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، (٥/ ٤٢٣).

(٢) أبن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م)مادة: نصر، (٥/ ٢١٠-٢١٢).

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، ط٢ (دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م)، (٢/ ٨٢٩).

أي من ظن من الكفار أنَّ الله لا يظهر محمداً على من خالفه فليختنق غيظًا حتى يموت كمدًا، فإنَّ الله يظهره ولا ينفعه موته خنقًا[٢].

بينما اعتبر بعضهم النصر أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر، وتعديه النصر بمن لتضمنه معنى الحفظ، وبعلى لتضمنه معنى الغلبة[٣]. ونصره: نجاه وخلصه[٤].

ونصرتنا لله: هي النصرة لعباده، أو القيام بحفظ عهوده، وحدوده، وامتثال أوأمره واجتناب نواهيه[٥].

والاستنصار: استمداد النصر، والتناصر: التعاون على النصر، والإنتصار: الانتقام. ترى الباحثة من هذه المعاني اللغوية أنَّ النصر يتضمن عدة معانٍ منها: العون، والتأييد، والعطاء، والنجاة، والخلاص، (التخليص) وإتيان الخير، ومعنى ذلك أنَّ النصر إذا تحقق فهو خير عميم يتضمن كل هذه المعاني، فالعون الإلهي ضروري لتحقيق النصر، والتأييد المعنوي يعتبر عاملًا مهمًا من عوامل النصر، والنصر عطاء

---

(١) سورة الحج، من الآية: ١٥.

(٢) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط (دار مكتبة الهلال (١٠٨/٧).

(٣) الكفوي، أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢ (مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ص٩٠٩.

(٤) الصعيدي، عبد الفتاح حسين يوسف، الإفصاح في فقه اللغة، ط١ (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ-١٩٢٩م)، ص ٣٠٣.

(٥) الزبيدي، تاج العروس (٣/ ٥٦٧).

فهو منحة ونعمة إلهية، والنجاة والخلاص نتيجتان من نتائج النصر وآثاره، فالمؤمنون إذا انتصروا على عدوهم فقد نجوا منه، وتخلصوا من ظلمه وقهره، وهكذا...

ب- النصر اصطلاحاً:

لم يكثر الباحثون الخوض في تعريف معنى النصر من الناحية الاصطلاحية، ومعظمهم اكتفى بذكر أحد المعاني اللغوية، أو الاشارة إلى معنى النصر بشكل مقتضب، ومن ذلك مثلًا: النصر هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء والاستعلاء عليهم(١).

وقيل أيضاً هو: ((الفوز والغلبة على الأعداء، أو على المرض أو على الفقر أو الأهواء))(٢).

ت-معاني النصر في القرآن الكريم:

وردت كلمة النصر في القرآن الكريم باشتقاقات وصيغ متعددة، بلغت مائة وثمان مرة، أما كلمة النصر فقد ذكرت صراحة إحدى عشرة مرة. ولعل هذا الإكثار من ذكر النصر، وبصيغ متعددة، له دلالة على أهمية هذا المفهوم في القرآن، كما أنَّ له ارتباطات متنوعة، فكل صيغة تتناول أمرا يتعلق بالنصر من جهة حسب السياق القرآني.

وكذلك تشير الباحثة إلى أنَّ هذا التكرار يعكس نوع الحياة الاجتماعية التي ينبغي على المسلمين اتباعها وبما يتوافق وثنائية الدنيا والآخرة، أي أنَّ المسلمين يؤمنون بوجود

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (دار الفكر) (٥٠٩/٥).

(٢) نخلة، مويس، وآخرون، القاموس القانوني الثلاثي، قاموس قانوني موسوعي شامل، ط١، (منشورات الحلبي الحقوقية،٢٠٠٢)، ص ١٦٩.

نوعين من الحياة احداهما زائلة محددة بزمن، وأخرى نهائية باقية مؤجلة إلى زمن يقدره الخالق سبحانه وتعالى .

و ينقسم النصر في القرآن الكريم إلى أربعة أقسام وهي على النحو الآتي[١]:

١. بمعنى المنع، منه قوله تعالى : ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أو يَنْتَصِرُونَ﴾[٢].
٢. بمعنى العون، ومنه قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾[٤]
٣. بمعنى الظفر، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٥].
٤. بمعنى الانتقام، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئك مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾[٦]، وقوله تعالى : ﴿فَإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ

---

(١) أبن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد الراضي، ط٣ (مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، ص ٥٨٦-٥٨٧.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٩٣

(٣) سورة الحج: الآية ٤٠

(٤) سورة الحشر: الآية ١

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٠.

(٦) سورة الشورى: الآية ٤١.

لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[١]، وقوله تعالى : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فانتَصِرْ﴾[٢]. قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣]. يسند القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة النصر إلى الله تعالى ، يقول تعالى : ﴿إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[٤]، مؤكّداً على المؤمنين ألا يستبعدوا نصر الله، ويقول تعالى : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[٥]، حتى لا يتوهّم أحد أنَّه بقوته أو تضحياته أعطى المؤمنين نصراً، ويقول تعالى : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[٦].

مؤكدا أنَّ هذا النصر ليس استثناءً نادراً وإنّما هو سنّة طبيعيةٌ، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة، والتي من جملتها الآية التي تحدّثت عن النصر الإلهي في معركة بدر الكبرى، ولا يخفى أنّ إضافة النصر إلى الله تعالى تعني أنّ النصر يحتاج إلى مدد إلهيّ، فإنَّ كلّ شيء في الوجود لا يمكن له أن يستغني عن العون والمدد والتوفيق الإلهي، وهي إمدادات غيبيّة ترتفع عن المسائل الحسيّة. فالإنسان المؤمن بحاجة إلى مثل تلك الألطاف الإلهيّة الخاصّة، والنصر من الله تعالى هو لُطف منه على عباده المؤمنين، وهو مدد غيبيّ لا يتحقّق إلّا بشروط أقرّها الله تعالى . شروط النصر الإلهي: وقد أورد القرآن الكريم جملة من الأسباب لاستنزال النصر من عند الله والتي من دونها لا يمكن أن تترتّب النتيجة الإلهية، وأهم هذه الأسباب:

---

(١) سورة محمد،: الآية ٤.

(٢) سورة القمر: الآية ١٠.

(٣) آل عمران: الآية ١٢٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

(٥) آل عمران: الآية ١٢٦.

(٦) سورة التوبة: الآية ٢٥

١- الإيمان: يقول تعالى : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١). وهذا شرط واضح إذ لا يمكن أنْ نفهم المدد الإلهي على قوم فاسقين أو كفّار.

٢-العمل والجهاد: قال تعالى : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٢). فقوله: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾ في هذه الآية، يُفهم منه صريحاً أنّ إعطاء النصر ومنحه مشروط بمن يعمل وينصر ويجاهد في سبيل الله، والآيات الكريمة في الحثّ على الجهاد كثيرة، فليس الأمر كما قال اليهود لنبيّ الله موسى (عليه السلام) حين أمرهم بالقتال لدخول الأرض المقدّسة: ﴿.. فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا﴾ (٣).

٣- الأمل والصدق: يقول تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمنوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٤). والملاحظ في الآية أنّ الله تعالى أراد للمؤمنين رغم ما بهم من ضيق وضرّ وبأساء أنْ يأملوا نصر الله فهو قريب، وهنا مسألة مهمّة وهي أنّ هؤلاء المؤمنين ليسوا في مقام الاعتراض وإلّا لقالوا (أين نصر الله)، ولكنّهم في مقام استعجال ما هو يقين عندهم، ولذلك قالوا: (متى نصر الله) ؟

والجواب الإلهي بقرب النصر كاشف عن هذه الحقيقة. ويقول أمير المؤمنين (ع): ((ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولأنَّ تصاول الفحلَين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا ومرّة لعدوّنا منا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل لعدوّنا الكبت وأنزل علينا النصر حتى استقرّ الإسلام))(٥)

---

(١) سورة الروم: الآية ٤٧.

(٢) سورة محمّد: الآية ٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٢٤.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

(٥) نهج اللاغة (١/ ١٠٥).

٤- في سبيل الله: أن يكون العمل والجهاد كلّه في سبيل الله، فالنصرة لابدّ أن تكون لله. قال تعالى : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾[١]. والمجاهدة لابدّ أنْ تكون في الله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٢].

٥-إعداد العدّة: قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [٣]. فالإعداد شرط من شرائط المواجهة، فالعدوّ الذي يرى عدوّه في حالة تخاذل وعدم استعداد يطمع به، فلا يتحقّق المدد الغيبي والنصر الإلهيّ عبثاً ولا مجّاناً ونحن عاكفون في البيوت كما قال اليهود لنبيّهم:

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قاعِدُون﴾ بل لابدّ من توفّر الشروط الموضوعية لكي تتحقّق الألطاف الإلهية، وليست هذه الشروط هي من المستحيلات.

٦-استمراريّة النصر مشروطة بالتواضع: النصر تعقبه انفعالات نفسية خطيرة على المنتصرين كالعجب، والغرور، والتكبّر، والاقتناع بما وصلوا إليه، إلى غير ذلك من الصفات. من هنا ولكي يستمرّ النصر لابدّ من إزالة هذه الرذائل الأخلاقية من نفوس المؤمنين، بالتسبيح والاستغفار والشكر، والتواضع أمام نعم الله سبحانه والاعتقاد بأنَّ هذه النعمة العظيمة منه عزّ وجلّ[٤]. وملك له متى ما شاء أخذها، وبذلك تدوم العلاقة بالله تعالى. يقول تعالى: ﴿إذا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ أَنَّه كَانَ تَوَّابًا﴾، إنّ النصر له آثار مهمّة على الناس المنتَصر عليهم وغيرهم، من حيث تهيئتهم للدخول في الإسلام العظيم، فالناس مع

---

(١) سورة محمّد: الآية ٧.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٠

(٤) سورة النصر: الآية ١

المنتصر القويّ، لا مع المنهزم الضعيف، لذلك نرى السورة الكريم ة ترتّب على النصر دخول الناس في دين الله أفواجاً.

ثانياً: تعريف القيادة لغةً واصطلاحاً، ودلالتها في القرآن الكريم:

تشير الباحثة إلى أنَّ مفهوم النصر يرتبط بمفهوم آخر، وهو مفهوم القيادة، أي أنَّ النصر على الدوام ينجزه قائدٌ، فنرى أنَّ التعريج على مفهوم القيادة يدخل في إطار فرضية الرسالة، ولذا سنتناوله بهذا المفهوم.

١- **القيادة لغةً:** ((مصدر من الفعل قادَ يَقودُ قوداً وقيادةً، واسم الفاعل منها قائد ويجمع على قادة[١]، والقود نقيض السوق، فالقود من الإمام والسوق من الخلف والقائد يطلق على انف الخيل أي مقدمته))[٢]

وتم تعريفها أيضاً بأنَّها:

أ. الامتداد في الشيء.

ب. التقدم عليه، لأنَّ القود من الأمام والسوق من الخلف.

ت. الإسراع، تقول العرب ((تقاود فلان وفلان بمعنى أسرعا ومنه فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان))[٣]

ث. الخضوع تقول قدته فانقاد واستقاد لي إذا أعطاك مقادته وخضع لك.

ج. الإتساع، ومنه اقاد الغيث، فهو مقود إذا اتسع.

ح. الألفة والتأليف، فالقائدة من الإبل التي تقدم الإبل وتألفها[١].

---

(١) ينظر: أبن فارس (١٦٩/١).

(٢) لسان العرب (٢١٦/١٢).

(٣) أبن منظور (٣٧٠/٣).

٢. **القيادة اصطلاحاً:**

أخذت تعريفات القيادة عدة معانٍ تتعلق بزاوية نظر القائم بالتعريف، وتجمل الباحثة أبرزها على وفق فرضية الرسالة على النحو الآتي:

أ. ((تشمل أي جهد لتشكيل سلوك الأفراد أو الجماعات في المؤسسات حيث تحصل المؤسسة من خلالها على مزايا أو تحقيق لأغراضها))[٢]

ب. ((هي عملية تأثير في أنشطة أفراد أو مجموعات تسهم في تحقيق الأهداف في موقف محدد))[٣].

ت. ((هي القدرة على التأثير في الآخرين من أجل تحقيق أهداف أو أغراض محددة))[٤].

ث. ((هي الصفة التي تضعها جماعة معينة من فرد من أفرادها، فيه خصائص وقدرات معينة تجعله في نظرهم أهلاً للصدارة وأحق بالقيادة))[٥].

ج. هي عملية تحريك الناس نحو الهدف.

ح. هي القدرة على التأثير على الآخرين وتوجيه سلوكهم لتحقيق أهداف مشتركة، فهي إذن مسؤولية تجاه المجموعة المقودة للوصول إلى الأهداف المرسومة.

---

(١) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور تهذيب اللغة، دار احياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الاولى (٢٠٠١م) ص١٧٢.

(٢) أمين بن محمد المدري، ٣٠ وصية ووصية لتكون قائداً ناجحاً: موقع مكتبة صيد الفؤاد الالكترونية: http://saaid.org.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) أحمد عبد المحسن العساف. مهارات القيادة وصفات القائد: الناشر: سكرايب ٢٠١٧م.

(٥) هشام الطالب، دليل التدريب القيادي، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م. ص٥٢.

خ. هي الفن الذي تستطيع بواسطته التأثير على الآخرين، لتوجيههم إلى هدف معين بطريقة تحصل بها على ثقتهم واحترامهم، وتعاونهم المخلص[١].

د. ((هي كل من يتولى شيئا من أمور المسلمين العامة كالخليفة وعماله وقواد الجيش، والقضاة، ورؤساء الشرطة والوزراء وغيرهم، ممن يقومون بأعمال عامة في الدولة الإسلامية))[٢].

ذ. ((هي عملية تحريك مجموعة من الناس باتجاه محدد ومخطط، وذلك بتحفيزهم على العمل باختبارهم))[٣].

تميل الباحثة إلى استخلاص تعريف يتوافق مع فرض البحث وهو أنَّ: (هي القدرة على كسب ثقة الآخرين ليكونوا طوع هذه القدرة أملا في تحقيقي هدف ما).

ثالثاً: دلالة القيادة في القرآن الكريم

بتأملنا لآيات القرآن الكريم نلاحظ ورود كلمات كثيرة دلت على القيادة، فقد تناول القرآن الكريم القيادة في آياتٍ عديدة ومواقف مختلفة منها:

١. ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

٢. ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرض وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[١].

---

(١) أحمد عبد ربه بصوص، مكتبة المنار الزرقاء –الاردن، ط١، ١٤٠٨هـ، ص٢٨.

(٢) محمد السيد الوكيل القيادة والجندية في الإسلام، دار الوفاء – المنصورة –مصر، ط١٤٠٨،٣هـ(١/ ١١٨)

(٣) محمد بن أحمد الازهري الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة، دار احياء التراث العربي –بيروت، ط١، ٢٠٠١ م.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.

٣. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأمرنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[٢].

٤. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمنوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأولئك هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣].

٥. ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤]

عند قراءتنا لهذه الآيات القرآنية نلاحظ أنَّ مصطلح القيادة لم يرد بلفظه ولا بأصله في القرآن الكريم، ولكنه ورد على مستوى المعنى، فنجد عدة آيات قرانيةٍ متعلقة بمعنى القيادة، وما يرتبط بها من كلمات، واختارت الباحثة الامثلة الآتية توافقاً مع فرض البحث:

أ. الامامة ومشتقاتها:- وهي مأخوذة من الإمام وهو كل من يقتدى به، والجمع ائمة، فالنبي ﷺ هو امام الأمة، والخليفة هو امام الرعية[٥] كما في قوله تعالى ﴿وَإِذ أبتَلَى أبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي **قَالَ** لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٦] **أي** أنَّه إمامٌ يتخذونه قدوة يقودهم إلى الله ويكون عونهم

---

(١) سورة الكهف: الآية ٨٤.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٣) سورة النور: الآية ٥٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٥) لسان العرب (١٣\٢٧٠).

(٦) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

ويقدمهم إلى الخير[١] وكذلك في قوله تعالى ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سوْءٍ فَاسِقِينَ﴾[٢].

وردت كذلك في قوله سبحانه ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرض وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٣] و﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾[٤] وقوله سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأمرنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٥].

فالإمام هو قائد يملك الأرض والسلطان، ويدعوا إلى الخير ويقتدي به الناس في الدين والدنيا. واجعلنا للمتقين إماماً ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٦]

أ- الحكم ومشتقاته:- ((الحكم هو العلم والفقه والقضاء بالعدل، وهو مصدر حكم يحكم، والحاكم ينفذ الحكم والجمع حكام))[٧]. ومنه قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٨]

وقوله ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[١]

---

(١) في ظلال القرآن الكريم(١٢٤).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٤.

(٣) سورة القصص: الآية ٥.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٢.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

(٦) سورة الفرقان: الآية ٧٤

(٧) أبن منظور (٢٣٧\١٦ مادة (سلط).

(٨) سورة الجاثية: الآية ١٦

والحكم الفهم للأحكام الشرعية، والعمل بكل جد وعزيمة والإقبال على الخير والاجتهاد فيه[٢] قال تعالى ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٣]، كما وردت كلمة الحكم ومشتقاتها في آل عمران بقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[٤]

وفي قوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٥]، و﴿وَلْيَحْكُمْ أهل الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأولئك هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٦]

وفي قصة نبينا يوسف في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٧]، وفي شأن لوط ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْم سوءَ فَاسِقِينَ﴾ [٨] وفي قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [٩].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

(٢) ينظر: د. هشام الطالب ص٥٢.

(٣) سورة مريم: الآية ١٢

(٤) سورة ال عمران: الآية ٧٩.

(٥) سورة النساء: الآية ٦٥.

(٦) سورة المائدة: الآية ٤٧.

(٧) سورة يوسف: الآية ٢٢.

(٨) سورة الأنبياء: الآية ٧٤.

(٩) سورة القصص: الآية ١٤.

ب. الأسوة:- قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[١]

ت. أمة:- من قوله تعالى ﴿إِنَّ أبرَاهِيمَ كَانَ أمة قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢]

ث. الخلافة:- وهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الدنيوية والأخروية، فهي خلافة الشرع في حماية الدين[٣]. فالخليفة هو القائد القادر على أنْ يدير البلاد باعتماده رؤى واضحة ومحددة (فالخليفة: السلطان الأعظم)[٤]

وهو كل من ينتقل إليه أمور أهل الأرض وتدبيرهم والنظر في مصالحهم[٥]. وإرشادهم إلى الطريق الصحيح وتنفيذ أحكام الخلافة فيهم وفق منهج الله سبحانه وتعالى وشريعته[٦]. وتكون الخلافة في الخير والشر كما في قوله تعالى ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرض فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٧].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٠.

(٣) مقدمة أبن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ص٧٩.

(٤) أبن منظور، مادة: خلف (١٨٣\٤).

(٥) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان،البحر المحيط في التفسير ، تحقيق صدقي محمد جمي، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ، (٢٨٨\١).

(٦) الطبري (١٨٩/١).

(٧) سورة ص: الآية ٢٦.

وقال تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرض مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[١].

وهذه الآية تشير إلى أنَّ الخلافة منوطة بالأعمال وليس بالأشخاص، لكي لا ينغر الناس بما يحوزونه في الدنيا من منصب ونسب وسلطان، وإنَّ الإستخلاف لعباد الله الصالحين، وهذا وعد منه سبحانه لهم بقوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمنوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأولئك هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٢]

وقوله سبحانه ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرض أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣]

ج. الملك:- يقال: ملك القوم فلانا على انفسهم: أي صيَّروه ملكاً وسيداً عليهم[٤] كما في قوله تعالى : ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرض وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٥]

---

(١) سورة يونس: الآية ١٤.

(٢) سورة النور: الآية ٥٥

(٣) سورة النمل: الآية ٦٢

(٤) أبن منظور (١٨٣\٨٢\١١٣) مادة: (ملك).

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

و﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين﴾[١]

ح. الإمارة:- كما ذكرها أبن منظور هي السيادة والرئاسة [٢]، والأمير هو شخصية مختارة من قبل أناس يرون فيه صفات تجعله الأجدر والانسب لقيادتهم

خ. السلطان:- يقال للأمراء بأنَّهم سلاطين، وذلك لأنَّهم تقام لهم الحقوق والحجة[٣] إذ قال أبن منظور: السلطان الحجة والبرهان، وهو لا يجمع لأنَّ مجراه مجرى المصدر. وهو في القرآن الكريم الحجة كما في قوله تعالى ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرض فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [٤]

د. النقيب:- هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم، وهو عريف القوم، والنقيب العريف وهو شاهد القوم وضمينهم، كما ذكره أبن منظور وذكر ذلك في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [٥].

فالمقصود بكلمة النقيب في هذه الآية هو الرئيس والعريف على من تحته ليكون حاثاً لهم على القيام بأوأمر الله.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠١

(٢) أبن منظور (٢٠٧\١٢٠٦\١١) مادة: (امر).

(٣) المصدر نفسه (٣٢٧\١٦) مادة (سلط).

(٤) سورة الرحمن: الآية ٣٣.

(٥) سورة المائدة: الآية ١٢.

ذ. التمكين:- هو بلوغ الحال من النظر، وحيازة شيء من السلطان، وامتلاك قدر من القوة وهو من ألوان الترسيخ في الأرض وعلو الشأن[١] ((وهو مصدر من الفعل مكن يمكن، يقال مكنه الله من الشيء وأمكنه منه، واستمكن بمعنى ظفر))[٢]

وقال سبحانه وتعالى في تمكينه لبعض انبيائه ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرض يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا من نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٣]

فقد مكَّنه الله في قلب العزيز، وفي قلب ملك مصر بقوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[٤]

وكذلك مكَّن الله ذي القرنين وآتاه ملكاً عظيماً وسهَّل له التحرك والإنتقال وبسط نفوذه وخضعت له جميع البلاد[٥]. قال تعالى ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرض وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[٦].

كما قال تعالى في ذكر التمكين لاخذ العبرة والاتعاظ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أهلكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرض مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرسلنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأهلكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخرين﴾[١].

---

(١) علي محمد الصلابي، فقه النصر والتمكين، دار الفجر للتراث – القاهرة، الطبعة الاولى، ١٤٢٤هـ ، ص ١٧.

(٢) الدارمي. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد مزي، دار الكتاب العربي –بيروت –لبنان، ١٤٠٧هـ، باب فضائل الصحابة رقم:٦٤٩، (١٠٤/٨) .

(٣) سورة يوسف: الآية ٥٦.

(٤) سورة يوسف: الآية ٥٤.

(٥) سيد قطب، (٢٢٩٠١٤).

(٦) سورة الكهف: الآية ٨٤.

كما ذكر الله سبحانه وتعالى من يستحقون التمكين بأوصافهم فقال تعالى ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأرض اَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأمروا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْ أمور﴾[٢].

ر. الولاية:- الوِلاية بالفتح هي السلطان، وبالكسر هي النصرة [٣]، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمنوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أولئك بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمنوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وإِنَّ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٤]

ز. الرعي:- ((اسم فاعل من الفعل رعى يرعى، والمصدر منه رعاية، والراعي هو الوالي والرعية هم العامة، ويقال رعى الأمير رعاية، أي حفظهم، وكل من ولّى أمر قوم فهو راعيهم وهم رعيته)) [٥].

فالقيادة هي أمر تحتمه الشريعة الإسلامية من مصدريها ال أساسيين، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن الطبيعة البشرية التي خلقها الله وزرع فيها غريزة حب التعاون والاجتماع لما فيه من مصلحة مشتركة.

فالمسلم يستشعر بضرورة وجوب القيادة، لأنَّ قدوتنا الأولى النبي محمد صلى الله عليه وآله فقد حثنا على ذلك، وأكد على أهمية هذا الموضوع.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٦.

(٢) سورة الحج: الآية ٤١.

(٣) أبن منظور (٤٠١١١٥) مادة (أولي).

(٤) سورة الأنفال: الآية ٧٢.

(٥) أبن منظور (٢٥٢١٥) مادة (رعى).

جاء في الحديث الشريف: ((إذا خرج ثلاثة في السفر فليؤمروا احدهم)) [١].

نستنبط من هذا الحديث أهمية القيادة، وبأنَّها واجبة على ثلاثة أشخاص لتولي أمورهم فما بال العشرات أو أكثر من تعدد المسؤوليات وتداخلها، إذ لابد من قيادة تقود المجتمع وتوجهه إلى ما فيه خيره واستقراره.

فإنَّ أي عمل لابد من اختيار قائد له ليقود العملية إلى الهدف المرسوم له، ووجود القائد الجيد على رأس عمله هو أمر في غاية الأهمية، فالنص القرآني وكما تقدم أكَّد وبشكل كبير على أهمية القيادة وتناولها في عدة آيات وألفاظ متعددة ومختلفة.

فالقيادة لابد منها ليسود الأمر إلى أهله وتترتب الحياة ويقام العدل، فالقيادة هي التي تنظم الطاقات والجهود بما يحقق الأهداف المستقبلية.

إنَّ القرآن الكريم وضع عدة مؤهلات يجب أنْ تتوفر في القيادة فأي قيادة سواء كانت لمجموعة من الأفراد أو لبلد أو لامة، لابد ان تحمل هذه المؤهلات التي تؤهل الشخصية القيادية من جميع الجوانب الدينية الروحية، الأخلاقية والعلمية.

---

(١) أبو داود (٢٦٠٩)، ينظر كذلك: البيهقي (١٠٦٤٩).

المبحث الثاني

نماذج تفسيرية في تعريف النصر المستحيل

إنَّ النصر لا ينحصر معناه في نصر المؤمنين في ساحات القتال فقط، وإنّما يتعداه إلى معانٍ كثيرة منه انتصار المؤمن على نفسه وعلى شيطانه، وهلاك الكافرين، فالقرآن الكريم استعمل النصر لمعاني التفوق ومعاني الغلبة في ساحات القتال لتشمل ساحات متنوعة وكثيرة تتفق جميعها في معنى واحد وهو غلبة الحق وثبات المبدأ، فلو لاحظنا تفسير المفسرين للآيات القرآنية التي ذكر فيها النصر لوجدنا أنَّهم أعطوا للنصر معاني عديدة، ففي قوله تعالى ﴿ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلّا بِالحَقِّ ومَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانًا فَلا يُسْرِفْ في القَتْلِ أَنَّه كانَ مَنصُورًا﴾ هنا يبين المفسرون أنَّ النصر هو بمعنى التشريع الإلهي للمظلوم يتدارك به ما يقع عليه من ظلم، فالنصر هنا هو حكم لرفع ما وقع من ظلم القتل على المقتول، فليس النصر القرآني محصوراً في القتال فقط بل هو شرطٌ من شروط غلبة الحق وثبات المبدأ[١] فلو تأملنا في كلمة النصر في القرآن الكريم لوجدنا أنَّه يعني فعل شيء من أجل شيء، فنجد أنَّ المفسرين عرفوا النصر بمعانٍ كثيرة، وعلى وفق الامثلة المختارة بما يناسب فرض البحث، وعلى وفق الآتي:

أولاً: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾[٢].

وستتناول الباحة تفسير الآية عبر ثلاثة تفاسير كعينة مقصودة، فتفسير الطبري من التفسير بالمأثور، وتفسير البغوي هو تفسير لغوي، والتفسير الوسيط من التفاسير الحديثة، وذلك من وجهة نظري يتوافق مع فرض البحث.

---

(١) الشيخ حسن الاكرف، مفهوم النصر في القرآن الكريم الكريم. دار الحكمة. لندن. دت. ص٢٨.

(٢) سورة النصر: الآية ١.

١- تفسير الطبري:

في هذه الآية يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بأنَّ النصر هنا هو نصر الله وفتح مكة، فما النصر هو نصر نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على قومه قريش ودخول الناس أفواجاً في دين الله، وعن أبن عباس قال: بينما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة، قال ((الله اكبر، الله اكبر، جاء نصر الله والفتح، جاء أهل اليمن، قيل: يا رسول الله، وما أهل اليمن ؟ قال: قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الايمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية. فهنا نجد أنَّ نصر الله عند نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان بدخول أهل اليمن إلى دين الإسلام افواجا [١]

٢- تفسير البغوي:

قال البغوي: ((يقصد بهذه الآية؛ إذا جاء نصر الله والفتح، هو فتح مكة. وهو نصر الله على من عادى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم قريش)) [٢]

٣- تفسير الوسيط:

قال سيد طنطاوي: ((هنا فسرت الآية بأنَّها كانت تومئ إلى قرب أجل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ففيها أمر من الله سبحانه وتعالى بالحمد والاستغفار إذا نصرهم الله وفتح عليهم. والسورة وعد من الله لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بدخول الناس في دين الله أفواجاً. ولكن بالمواظبة على حمده واستغفاره، فالنصر هنا هو

---

(١) الطبري، ص٢٠١ .

(٢) حسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل. دار طيبة للطباعة والنشر، (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

التغلب على العدو وبلوغ الغاية. وفتح مكة وما يترتب عليه من إعزاز الدين الإسلامي، وإعلاء كلمة الحق)) [١].

ثانياً: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَة تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾[٢]

١. **تفسير الطبري:**

يذهب الطبري إلى أنَّ التأويل في قوله تعالى في هذه الآية يختص بهؤلاء المستعجلين ربهم بالعذاب، أليس لهم آلهة تمنعهم إذا حل بهم عذابنا، وأنزلنا عليهم بأسنا، فكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أنْ تحميهم من العذاب ولا تستطيع نصر نفسها، وإنَّ معنى: (ولا هم منا يصحبون)، جاء بمعنى لا ينصرون، فقد حدثنا أبن عبد الاعلى، قال: ثنا أبو ثور عن معمر عن أبن علي نجيح عن مجاهد ولا هم منا يصحبون. قال: لا ينصرون. فالنصر في هذه الآية يقصد به أنَّ الآلهة لا تستطيع حماية نفسها من العذاب، فالنصر هنا هو الحماية من عذاب الله سبحانه وتعالى.

٢. **تفسير البغوي:**

يرى البغوي هنا أنَّ الله سبحانه وتعالى يصف الآلهة في هذه الآية بالضعف، وأنَّها غير قادرة على حمايتهم، فهم لا يستطيعون نصر أنفسهم فكيف ينصرون عابديهم[٣].

---

(١) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط. دار النهضة. مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى ١٩٩٧م (٢/ ٢١٣).

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٤٣

(٣) تفسير البغوي (٥/ ٣٧٢).

٣. تفسير الوسيط:

يقول صاحب الوسيط: ((هنا فسرت الآية بأنَّها إضراب عن وصفهم بالأعراض، وتوبيخهم على جهالتهم، وذلك بسبب اعتمادهم على الههم لا تنفع ولا تضر، فهم لا يستطيعون نصر انفسهم، ولا تستطيع آلهتهم أنْ تمنعهم من عذابنا فهم لا يتدبرون على نصر أنفسهم، فكيف ينصرون غيرهم. فهؤلاء إذا لم يصحبوا ولم يكن لهم أي مانع من عذاب الله، فلن ينصروا))[١].

ثالثاً: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]

١- تفسير الطبري:

يرى الطبري أنَّ تأويل هذه الآية هو أنَّ هناك من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل الفتنة للناس كعذاب الله، وإذا جاء نصر من الله يقولون انا كنا معكم، غافلين بأنَّ الله سبحانه وتعالى أعلم بما في صدور الناس فهنا يخاطب الله المرتدين عن إيمانهم الذين يجعلون فتنة الناس كعذاب الله، فهم أناس يؤمنون بالله بألسنتهم وعندما يصيبهم البلاء أو المصيبة افتتنوا، فهذا هو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن دينه وكفر، ونزلت الآية في قوم من أهل الايمان كانوا بمكة، فالنصر هنا هو المخرج الذي يرسله الله سبحانه وتعالى لهم [٣].

---

(١) تفسير الوسيط (٢/ ٣٦٢)

(٢) سورة العنكبوت: الآية ١٠.

(٣) تفسير الطبري (١٣/٢٠).

٢- تفسير البغوي:

ويشير البغوي إلى أنَّ هنا إشارة للناس الذين يقولون آمنا بالله فإذا أصابه البلاء افتتن، أي جعل عذاب الناس كعذاب الله في الاخرة، وهذا هو المنافق الذي إذا أوذي في الله كفر ورجع عن الدين، وإذا جاء نصر من الله، والنصر. هنا هو بمعني (فتح دولة للمؤمنين) يقولون إنا كنا معكم(١).

٣- تفسير الوسيط:

أمَّا صاحب الوسيط فيرى أنَّ الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بينَّ أنَّ هناك أناس منافقين في مكة، كانوا مؤمنين، ولكنهم إذا أوذوا أشركوا بالله. أي أنَّهم يقولون بلسانهم دون أنْ يواطئ القول قلبهم وعندما تنزل بهم النكبات والمصائب يجعلون فتنة الناس وعذابهم لهم كعذاب الله في الألم والشدة، فعذاب الناس له دافع، أمَّا عذاب الله فليس له دافع فعذاب الله لا يعرف أحد مداه أو نهايته، أمَّا إذا جاءهم نصر الله فيقول هؤلاء المنافقون إنَّا معكم مؤيدين ومناصرين. فأشركونا معكم في النصر والغنائم والخيرات. فالنصر هنا هو النصر في ساحة القتال والغنائم والخيرات التي يحصل عليها المنتصرون في المعارك(٢).

رابعاً: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(٣)

---

(١) تفسير البغوي (٦/٢٣٥).

(٢) تفسير الوسيط (١١/١٦).

(٣) سورة الروم: الآية ٤٧.

١- تفسير الطبري:

يقول الطبري: ((في هذه الآية يذكر الله سبحانه وتعالى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بما لقي الرسل من قبله من أقوامهم فذكره بأنَّ الله أرسل الرسل قبله بالواضحات من الحجج إلى اقوامهم فكذبوهم كما كذبك قومك، فانَّتقمنا منهم ونحن أعلم بمحرمي قومك، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين. فالنصر في هذه الآية هو وعد الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بمكافأتهم وبأنَّ هذه المكافأة هي حق على الله سبحانه وتعالى))[١].

٢- تفسير البغوي:

يقول البغوي: ((هنا بيَّن الله سبحانه وتعالى انتقامه من الذين أجرموا بحق الرسل الذين بعثهم الله بالدلالات الواضحة على صدقهم، وفي هذه الآية بشارة للنبي بالظفر في العافية والنصر على الأعداء، فالنصر هنا هو البشارة التي أرسلها الله إلى القوم المؤمنين برسلهم))[٢]

٣- تفسير الوسيط:

يقول صاحب الوسيط: ((نلاحظ في تغير هذه الآية كلاماً معترضاً بين الحديث عن نعمة الرياح لتلية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بين ما لحقه من قومه من أذى وبين الله بأنَّ الرسل الذين جاءوا قبله تعرضوا لنفس الأذى من أقوامهم، وأنَّه من

---

(١) تفسير الطبري (٢٠ / ١١٤).

(٢) البغوي (٦/ ٢٧٥).

حق الله على المؤمنين نصرهم وإنصافاً لمن آمن بوحدانيتنا وأخلص العبادة لنا. فهو حق أوجبه الله مكرماً وتفضلا للمؤمنين))[١].

خامساً: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[٢]

١- تفسير الطبري:

يرى الطبري أنَّ في قوله تعالى (نصر من الله وفتح قريب) يخاطب فيه الله نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنَّ يبشر المؤمنين بنصر الله لهم. فهنا جاء النصر بمثابة بشارة للمؤمنين وفتح قريب لهم نتيجة إيمانهم بالله ورسوله وبشارته لهم بجنة تجري من تحتها الأنهار[٣].

٢- تفسير البغوي:

ويرى البغوي أنَّ القصد فيَّ أن لكم خصلة أخرى عاجلة مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة تحبونها، وهي النصر، فهنا جاءت كلمة النصر بمعنى الخصلة التي يحبها المؤمنون وهي نصر الله وفتح قريب، والنصر هنا هو فتح مكة والنصر على قريش[٤].

٣- تفسير الوسيط:

جاء في تفسير هذه الآية بأنَّ النصر هنا هو نعمة من الله سبحانه وتعالى يعطيها المؤمنين الصابرين المجاهدين وهذه النعمة يتطلع إليها المؤمنون بشدة وشوق، وهي نصر عظيم من الله وفتح قريب عاجل وبشارة للمؤمنين ليزدادوا إيماناً على إيمانهم، وتفرح قلوبهم وتنشرح. والنصر هنا هو دخولاً أولياً: أي فتح مكة ودخول الناس

---

(١) تفسير الوسيط (٩٦/١١).

(٢) سورة الصف: الآية ١٣.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٤٦).

(٤) تفسير البغوي (١١٠/٨).

إليها أفواجاً. وتعتبر هذه الآية من معجزات القرآن الكريم. لوجود الأخبار بالغيب وهو النصر والفتح في أكمل صورة وأقرب زمن[١].

سادساً: ﴿فَالَّذِينَ آمنوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢]

١. تفسير الطبري:

يخاطب الله في هذه الآية الذين آمنوا بالرسول محمد (ص) وأعانوه ونصروه بأنَّهم هم المفلحون، المنجحون والمدركون لما طلبوا ورجوا بأفعالهم. أولئك لهم بشارة من الله بأنَّهم المفلحون. فالنصر هنا جاء بمعنى الوقوف مع النبي محمد بكل ما أمر الله به، والابتعاد عن كل ما يدعوا إليه الشيطان من المعاصي والفواحش، فهو نصر للنفس البشرية على المعاصي والوقوف مع الحق والايمان[٣].

٢. تفسير البغوي:

قال البغوي: ((فالذين آمنوا به؛ أي: بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وعزروه، ووقروه، ونصروه على الأعداء، واتبعوا النور الذي أنزل معه، يعني: القرآن الكريم؛ أولئك هم المفلحون))[٤]

---

(١) تفسير الوسيط (٧٣/١٢).

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٥٧.

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٢٩١).

(٤) تفسير البغوي (٢٨٨/٣).

٣. تفسير الوسيط:

في هذه الآية وصف الله رسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأوصاف كريمة، وبأنَّه رسول إلى الناس بشيراً ونذيراً، وأنَّه نبي أوصى الله عليه، وأنَّه نبي من الله أوصى الله إليه بشريعة كاملة وباقية إلى يوم الدين، ووصفه بأنَّه أميّ لا يقرأ ولا يكتب، وإنَّ الله أوصى إليه بالقرآن الكريم. فالذين آمنوا بهذا الرسول الأمي وعززوه وحموه من كل من يعاديه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك مفلحون وفائزون وظافرون برحمة الله سبحانه وتعالى . فهم المنتصرون أولو الألباب الذين هداهم الله[١].

سابعاً: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[٢]

١-تفسير الطبري:

في هذه الآية بشارة بنصر الله على أعدائهم ويطمأنهم بذلك بقوله (ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم، والتأكد من نصرة الله لكم، وإنَّ النصر هو من عند الله وليس بشدة بأسكم وقواكم بل ذلك بيد الله ينصر من يشاء من خلقه فهو عزيز لا يقهره شيء، ولا يغلب فالله حكيم في تدبيره ونصره، وخذلانه من خذل من خلقه[٣].

---

(١) تفسير الوسيط (٥/ ٣٩٠).

(٢) سورة الانفال: الآية ١٠.

(٣) تفسير الطبري (٤١٨/١٣).

٢- تفسير البغوي:

في هذه الآية يبشر الله المؤمنين بالامداد بالملائكة ولتطمئن قلوبهم، فكلمة جعله الله تعني انزال الملائكة فالنصر هنا هو المدد والعون الذي يرسله الله سبحانه وتعالى للمؤمنين لينصرهم ولتطمئن قلوبهم(١).

٣- تفسير الوسيط:

بيَّن الله في هذه الآية مظاهر فضله على المؤمنين ورحمته بهم، وذلك بإمدادهم بالملائكة. ففي هذه الآية كلام مستانف لبيان مظاهر فضل الله على المؤمنين، ولبيان أنَّ الله وحده هو القادر على النصر ليزدادوا ثقة به، ولكي لا يقنطوا من النصر. فجعل الله لهم النصر بإمدادهم بالملائكة للنصر على عدوهم في هذه الغزوة الحاسمة، "و ما النصر إلّا من عند الله أي أنَّ النصر ليس للملائكة، وإنما بقدرة الله ورعايته، ففي هذه الجملة إشعار بأنَّ النصر الواقع من مقتضيات حكمته البالغة(٢).

(١) تفسير البغوي (٣/ ٣٣٤).

(٢) تفسير الوسيط (٦/٤٣).

المبحث الثالث

الآيات القرآنية الخاصة بالنصر

تبيَّن لدى تدقيق الباحثة للمعاني التي وردت لمفهوم النصر في القرآن الكريم أنَّها بالإمكان إجمالها على النحو الآتي:

١. الإيمان بالله تعالى:

وهو أهم أسباب النصر؛ فقد تكفل ربنا تعالى بنصر المؤمنين، كما تكفل بنصر المرسلين عليهم السلام: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمنوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادِ﴾[١]. بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات[٢]؛ وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم... وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنَّه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا، ويقرّ أعينهم ممن آذاهم[٣]، قال رسول الله: ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ))[٤]؛ فالمؤمنون أتباع الرسل، ونصر المؤمنين الصادقين نصر للرسل

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.

(٢) أبو السعود. محمد بن العمادي. تحقيق عبد القادر أحمد عطا. الناشر: مكتبة الرياض الحديثة. دت. (٢٨٠/٧)

(٣) أبن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تفسير القرآن الكريم العظيم المحقق: محمد حسين شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ (١٠٦/٤)

(٤) البخاري. أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن أبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي صحيح البخاري، رقم الحديث (٦٥٠٢). تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني. ثم

المكرمين، بل جعل الله نصر المؤمنين حقاً واجباً عليه تكرماً منه وفضلاً: ﴿ وَلَقَدْ أرسلنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إلى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

٢. التقوى:

التقوى هي الملَكة التي تحمل على فعل الطاعة واجتناب المعصية؛ فهي واقية من عقاب الله تعالى بطاعته(٢)، والتقوى وصية الله إلى الأولين والآخرين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ.﴾(٣). كما أوصى بها النبي ﷺ في كل موطن، قال ﷺ: ((اتق الله حيثما كنت))(٤).

وأوصى بها قادتَه، قال بريدة: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومَن معه مِن المسلمين خيراً، ثم قال: ((اغزوا

صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، كتاب الجمعة (١٠٥/٨).

(١) سورة الروم، الآية: ٤٦.

(٢) على بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: أبراهيم الإبياري، ط١، (دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٥هـ (١/ ٩٠).

(٣) سورة النساء، من الآية: ١٣١.

(٤) الترمذي في السنن (٣٥٥/٤) رقم الحديث (١٩٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح. ينظر كذلك: والدارمي في السنن (٤١٥/٢) رقم الحديث(٢٧٩١). وأحمد في المسند (١٥٣/٥) رقم الحديث(٢١٣٩٢).

باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، ...))[١].

وقد أمدّ الله المؤمنين في غزوة بدر ﴿بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾[٢]، ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثاً لهم عليهما وتقوية لقلوبهم[٣] فقال: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٤]، فالعاقبة المحمودة لأهل التقوى[٥]، كما قال تعالى : ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأرض لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦]. وهي تسلمهم من شر الأشرار وكيد الفجّار[٧]: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُم شَيْئاً﴾[٨].

---

(١) صحيح مسلم، باب معرفة الركعتين اللتين كان (١٣٥٧/٣) رقم الحديث (١٧٣١). ينظر كذلك: أبو داود (٤٣/٢) رقم الحديث (٢٦١٢). والترمذي (١٦٢/٤) رقم الحديث (١٦١٧). وابن ماجه (٩٥٣/٢)رقم الحديث (٢٨٥٨).

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٢٤.

(٣) أبو السعود(٨٠/٢).

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٢٥.

(٥) الطبري. محمد بن جرير الطبري. كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن الكريم. تحقيق: بشار عواد معروف، عصام فارس،،مؤسسة الرسالة –بيروت،(١٤١٥ هـ-١٩٩٤م)،(ط١) (٢٨/٦).

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

(٧) أبن كثير(٥٢٨/١).

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

وتكسبهم معية الله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[١]. وهذا أمر لهم بطاعة الله وتقواه، وإخباره بأنَّه تعالى مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة[٢]؛ فالمراد بالمعية: الولاية الدائمة[٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٤]. فالإيمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى، والشهادة بكونهم من زمرة المتقين[٥]، يقول لهم: أيقنوا عند قتالكم إياهم أنَّ الله معكم وهو ناصركم عليهم، فإنَّ اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فإنَّ الله ناصر من اتقاه ومعينه[٦]. ومن كان الله معه لم يقم له شيء[٧].

٣. الإخلاص:

وهذا مطلب عام في سائر الطاعات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أمروا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [٨]، أي خالصاً لوجه الله تعالى كالجهاد في سبيل الله ينبغي ألّا يكون إلّا في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، فعن أبي امامة البأهلي قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله: ((لا شيء له)). فأعادها ثلاث

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٩٤.
(٢) أبن كثير (٣٠٩/١).
(٣) أبو السعود (١١٢/٤).
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.
(٥) أبو السعود (١١٢/٤).
(٦) الطبري (٥١٧/٦)
(٧) الشوكاني، فتح القدير (٦٠٤/٢).
(٨) سورة البينة، الآية: ٥.

مرات. يقول له رسول الله ((لا شيء له)). ثم قال: ((إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغي به وجهه)) [١].

وقد تكفل الله تعالى أنْ ينصر جنده، الذين صحت نسبتهم إليه بإخلاصهم في جهادهم: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ، وإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٢].

والمراد بجند الله حزبه، وهم الرسل وأتباعهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمنوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[٣].

٤. العمل الصالح:

وهو قرين الإيمان كما جاء في كثير من الآيات القرآنية، ومن هذه الأعمال الصالحةِ التي تحفظ تماسك الأمة وتستجلب النصر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا هو حال المؤمنين في المجتمع الراشد المسلم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٤]. وقوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأمرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَينْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٥].

---

(١) النسائي في السنن (٣١٤٠) ٢٥/٦. وإسناده جيد على قول الحافظ أبن حجر في الفتح (٢٨/٦).

(٢) سورة الصافات، من الآية: ١٣١- ١٣٧.

(٣) سورة غافر، الآية: ٧١

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٧١.

فهذا هو المجتمع الصالح، الذي غلب عليه الخير، وتمكن فيه المعروف وقوي أمره، واشتد عوده، وصارت له الغلبة والظهور، ولأهله العزة والتمكين. ولأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحفظان الأمة من الهلاك، فقد سألت السيدة زينب بنت جحش النبيَّ ﷺ؛ قالت: يا رسول الله، أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: ((نعم، إذا كَثُر الخَبَث))[١]. والقعود عن هذا الواجب يحجب النصر، قال ﷺ: ((يا أيها الناس، إن الله عز وجل يقول: مُروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، من قبل أن تدعوني فلا أجيبكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم))[٢].

ومن الأعمال الصالحة الجهادُ في سبيل الله، وهو سبيل العزة والنصر؛ فهو يحفظ كرامة الأمة وعزتها، ويحمي طريق الدعوة لتصل كلمة الحق إلى الآفاق، ولأنَّ عدونا لا يطيب له عيش ولا يهنأ له بال حتى يردّنا إلى الكفر والتخلي عن ديننا الذي ارتضاه ربنا لنا، وصدق الله العظيم، إذ يقول: ﴿وَلاَ يزالون يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأولئك حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأولئك أصحاب النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣].

وهذا بيان لاستحكام عداوتهم وإصرارهم على الفتنة في الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق إلى دينهم الباطل[٤].

فهم لا يتركونكم وإنَّ تركتموهم أنتم، حتى يحققوا رغبتهم فيكم إن استطاعوا وهي اتباع أهوائهم كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة (١٣٨/٤) رقم الحديث (٣٣٤٦).
(٢) المسند (١٥٩/٦) رقم الحديث (٢٥٢٩٤). وهو حسن لغيره.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٤) أبو السعود (١/ ٢١٧).

مِلَّتَهُمْ...﴾[١]. وإنَّ أوقفوا المواجهة المسلّحة فسوف يلجأون إلى مواجهة من نوع آخر؛ ثقافية، اعلامية، اقتصاد ومن ذلك أيضاً: الإكثار من النوافل؛ فإنَّها طريق لولاية الله تعالى ، ومن تولاه الله فهو منصور لا محالة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإنَّ سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته)) [٢]. وولي الله: هو العالم بدين الله تعالى، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته.

٥. الصبر والمصابرة:

أمر الله بالصبر، وأخبر أنَّه خير لأهله، وجاء ذلك بعدة مؤكِّدات قال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[٣]، كما أخبر بمحبته للصابرين ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٤]. وبمعيته لهم: ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٥]. ومن صفات المتقين صبرهم على الابتلاء بالمال والجسد ولقاء العدو كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[٦]؛ فقد جمعت هذه الآية من أنواع الصبر ما يكون في المال من الفقر والشدة: فِي الْبَأْسَاء. وفي الجسد من المرض والزمانة: والضَّرَّاء، وفي

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٢٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة (١٠٥/٨) رقم الحديث (٦٥٠٢).

(٣) سورة النحل، من الآية: ١٢٦.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٤٦.

(٥) سورة الأنفال، من الآية: ٤٦.

(٦) سورة البقرة، من الآية: ١٧٧.

مواطن الحرب وقت مجاهدة العدو: وَحِينَ الْبَأْسِ[١]، والصابر حين البأس منصور لأنَّ الله معه، وهي معية نصره وتوفيقه حتماً[٢]، مهما كانت فئتهم قليلة وفئة أعدائهم كثيرة، وقد أكد الله لنا هذا على لسان طالوت وجنوده: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مع الصَّابِرِينَ﴾[٣]، فتوجهوا إلى الله تعالى أنَّ يلهمهم الصبر والثبات والنصر: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٤].

ولقد راعوا في الدعاء ترتيباً بديعاً حيث قدموا سؤال إفراغ الصبر الذي هو ملاك الأمر، ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه، ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى[٥]. فالصبر يلازم النصر، كما قال ﷺ: ((واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيرا وإنَّ النصر مع الصبر، وإنَّ الفرج مع الكرب، وإنَّ مع العسر يسرا))[٦].

٦. الثبات عند لقاء العدو:

الثبات من توابع الصبر ومن مستلزمات النصر، فأثبتُ الفريقين أغلبُهما، وأعظم ما تشتد الحاجة إليه عندما يضطرب الأمر، ويدبّ الذعر، وتنتشر الشائعات، وتشيع

---

(١) أبو السعود (١٩٤/١).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٤٣).
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٠.
(٥) أبو السعود (، ٢٤٤/١).
(٦) المسند (٣٠٧/١) رقم الحديث (٢٨٠٤). ينظر كذلك: البيهقي في شعب الإيمان (٢٧/٢) رقم الحديث (١٠٧٤). وهو حديث صحيح.

الهزيمة في نفوس المقاتلين، وقد جاء الأمر به عند اللقاء مع العدو، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾[١].

وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء[٢] أي: إذا حاربتم جماعة من الكفرة فاثبتوا للقائهم في مواطن الحرب[٣]، ولا تجْبُنوا عنهم، وهذا لا ينافي الرخصة في قوله: ﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أو مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ﴾[٤]، فإنَّ الأمر بالثبات هو في حال السعة، والرخصة هي في حال الضرورة، وقد لا يحصل الثبات إلا بالتحرف والتحيّز. ثم أمر بالذكر؛ فإنَّ ذكر الله يعين على الثبات في الشدائد، وقيل المعنى: اثبتوا بقلوبكم واذكروا بألسنتكم فإنَّ القلب قد يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمرهم بالذكر حتى يجتمع ثبات القلب واللسان[٥].

وقد جاء في دعاء طالوت وأصحابه، لما برزوا لجالوت وجنوده، طلبُ الثبات: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٦]. فكانت العاقبة لهم: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾[٧].

ومن دعاء المجاهدين – أصحاب الأنبياء– بالثبات: ﴿ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أمرنَا وَثَبِّتْ قْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[١]، فكانت الغلبة لهم: ﴿فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(٢) أبن كثير(٤١٧/٢).

(٣) أبو السعود (٤/ ٢٥).

(٤) سورة الأنفال، من الآية: ١٦.

(٥) الشوكاني، فتح القدير(٤٥٧/٢).

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٠.

(٧) سورة البقرة، من الآية: ٢٥١.

كما وعد الله من ينصر دينه بأنَّ ينصره ويثبته، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. أي: يقوِّكم عليهم ويجرِّئكم حتى لا تولوا عنهم وإنَّ كثر عددهم وقل عددكم [٣]. وتثبيت الأقدام عند القتال، أو على الإسلام أو على الصراط. أو المراد: تثبيت القلوب بالأمن؛ فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِذ يُوحِي رَبُّكَ إِلى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾، فأثبت هناك واسطة ونفاها هنا، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾[٤] ثم نفاها بقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾[٥][٦].

وكما يكون الثبات حسياً يكون معنوياً، فيثبت المقاتل أمام شائعات العدو وأراجيفهم بما آتاه الله من قوة إيمان وسلامة عقيدة.

٧. الاتصال بالله بالذكر والدعاء:

جاء الأمر بذكر الله كثيراً عند ملاقاة الأعداء في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾[٧]، فأمر بالثبات وأمر بما يعين عليه وهو الذكر، فإنَّ ذكر الله يعين على الثبات في الشدائد، ويمنح الطمأنينة والسكينة حيث يشعر المقاتل بأنَّه لا يقاتل وحده، بل الله معه، فيثبت القلب على اليقين

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٤٧.

(٢) سورة ال عمران: الآية ١٤٨

(٣) سورة محمد: الآية١٢

(٤) سورة السجدة، من الآية: ١١

(٥) سورة الروم، من الآية: ٤٠.

(٦) القرطبي. أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. الجامع لأحكام القرآن الكريم < تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة. الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م. (٢٣٢/١٦)

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

ويثبت اللسان على الذكر، وإنَّ هذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس[١].

قال قتادة: افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون؛ عند الضراب بالسيوف[٢].

وعن كعب الأحبار قال: ما من شيء أحب إلى الله تعالى من قراءة القرآن الكريم والذكر، ولولا ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال، ألا ترون أنَّه أمر الناس بالذكر عند القتال فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾[٣][٤]، وقال محمد بن كعب القرظي: لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا، يقول الله عز وجل: ﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ الناس ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً﴾[٥]، ولرخص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تفلحون﴾[٦]، [٧].

وفي هذا تنبيه على أنَّ العبد ينبغي ألَّا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى ، وإنَّ يلتجئ إليه عند الشدائد، ويقبل إليه بكليته، فارغ البال، واثقًا بأنَّ لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال[٨]. وهذا كله على تفسير الذكر بالذكر المطلق، وفيه قول آخر وهو تفسيره بالدعاء، قال أبن الجوزي: ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً﴾ فيه قولان: أحدهما: أنَّه الدعاء

---

(١) القرطبي (٢٣/٨).
(٢) الطبري (٢٦٠/٦).
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.
(٤) أبن كثير (٤١٧/٢).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤١.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.
(٧) القرطبي (٨٢/٤).
(٨) أبو السعود (٢٥/٤).

والنصر، والثاني: ذكر الله على الإطلاق[١]. وعلى تفسير الذكر بالدعاء جاء تفسيره عند الطبري وغيره، ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً﴾ يقول: وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره[٢]. وقد جعل الله الدعاء والاستغاثة به سبباً للثبات والنصر على الأعداء؛ فقد جاء في دعاء طالوت وأصحابه، لما برزوا لجالوت وجنوده: ﴿قَالُواْرَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٣]. فكان عنده النصر والظفر: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾[٤]. ومن دعاء المجاهدين أيضاً: ﴿ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أمرنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٥] فكانت العاقبة لهم: ﴿فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٦] كما جعله سبباً للمدد والغوث من الله: ﴿إذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٧]

٨. التوكل على الله وحده:

إنَّ التوكل على الله يمنح المؤمن قوة لا تعادلها قوة، لذلك يكون النصر حليف المتوكلين، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وإِنَّ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي

(١) أبن الجوزي، زاد المسير (٣/٣٦٥).
(٢) الطبري (٦/٢٦٠).
(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٥٠.
(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٥١.
(٥) سورة آل عمران، من الآية: ١٤٧.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤٨.
(٧) سورة الأنفال، الآية: ٩.

يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١] والتوكل هو: قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب[٢].

كما قال ﷺ: ((إعقلها وتوكل))[٣] فهو اعتماد القلب على الله تعالى في كل ال أمور مع إتيان الأسباب المشروعة؛ إذ سنة الله جارية بترتيب النتائج على الأسباب، ولكن الأسباب ليست هي التي تنشئ النتائج وعن أبن عباس رضي الله عنهما: ﴿حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها أبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٤].

٩. نصرة دين الله تعالى:

نصر الله يتحقق بنصرة شريعته؛ باتباع أوامره واجتناب نواهيه؛ بالعمل بدينه، وتحكيمه في الحياة، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، ونصرة نبيه وأوليائه[٥]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٦] ينصركم بنصركم عليهم، ويظفركم بهم؛ فأنَّه ناصر دينه وأولياءه[٧]. ويثبت أقدامكم في القيام بحقوق

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٢) أبن حجر، فتح الباري (٣٨٤/٣).

(٣)الترمذي السنن (٦٦٨/٤) رقم الحديث (٢٥١٧). ينظر كذلك: وابن حبان في الصحيح (٥١٠/٢) رقم الحديث (٧٣١). وهو حديث حسن.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير(١٦٦٢/٤) رقم الحديث (٤٢٨٧).

(٥) القرطبي (٢٣٢/١٦).

(٦) سورة محمد، الآية: ٧.

(٧) الطبري (٣٠٩/١١).

الإسلام، والمجاهدة مع الكفار[١]. ويدل على هذا المعنى أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢] أي: وليعينن الله من يقاتل في سبيله لتكون كلمته العليا على عدوه؛ فنصر الله عبده: معونته إياه ونصر العبد ربه: جهاده في سبيله لتكون كلمته العليا. إنَّ الله لقويٌ على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في ملكه، منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب[٣]، ومن كان القوي العزيز ناصره فمن يقهره. ولقد أنجز الله – عز سلطانه – وعده، حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم

وقياصرة الروم، وأورثهم أرضهم وديارهم[٤] وهذا النصر لمن ينصر الله في سائر الأزمان؛ لذلك بيّن صفة ناصريه بقوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرض أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأمروا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْ أمور﴾[٥]، وهي أوصافٌ يَتَحَلَّى بها المؤمنُ بعدَ أن يمكّن الله له في الأرض، فيَزيدُه النصرُ

والتمكينُ قوةً في دين الله وتَمسُّكاً بشرعته ومنهاجه وآدابه.

١٠. طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ:

أمر الله تعالى المؤمنين بطاعته فيما يأمرهم به، وطاعة رسوله ﷺ فيما يرشدهم إليه، وحذر من مخالفة رسوله ﷺ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا

---

(١) البيضاوي. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ (١٩٠/٥).

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٣) الطبري (١٦٢/٩).

(٤) أبو السعود (١٠٩/٦).

(٥) سورة الحج، الآية: ٤١.

عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [١] أي لا تتولوا عن الرسول(ﷺ)، فإنَّ المراد هو الأمر بطاعته والنهي عن الإعراض عنه، وذكَر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على إنَّ طاعته تعالى في طاعة رسوله ﷺ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾[٢]. كما جعله الله من عوامل النصر التي ذكرها في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ، وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٣]، لأنَّ الطاعة توحّد الصف، وتمحو الخلاف، وتُكسب القوة في مواجهة العدو. يقول أبن كثير: وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به وامتثال ما ارشدهم إليه مالم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنَّهم ببركة الرسول ﷺ وطاعته فيما أمرهم فتحوا القلوب والأقاليم شرقاً وغرباً، في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر

الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم أنَّه كريم وهاب[٤]

١١. وحدة صف الأمة وتجنب الفرقة:

توحيد صف المسلمين، وجمع كلمتهم لإعلاء كلمة الله تعالى من أجل مقاصد الإسلام، فقد أمر الله بالجماعة ونهى عن الفُرقة بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٥ –٤٧.

(٤) أبن كثير (٤١٧/٢).

تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إذ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١).

كما قال: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأولئك لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

وإنَّ الله لَيرضى من عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان(٣): ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾(٤).

صافين أنفسهم، أو مصفوفين. مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل بنياناً رُصّ بعضه إلى بعض، ورصف حتى صار شيئاً واحداً (٥)، قال الفراء: مرصوص بالرصاص. وقال المبرد: هو مأخوذ من رصصت البناء: إذا لا يمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة، وقيل: هو من الرصيص وهو ضم الأشياء بعضها إلى بعض، والتراص: التلاصق(٦).

وإنَّ هذا الصف الظاهري ينبئ عن وحدة وتماسك داخلي. وقد جعل الله اتفاق الكلمة وعدم التنازع من أسباب النصر، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا إذا لَقِيتُمْ فِئَةً

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٣) أبن كثير (٤/٤٥٨).

(٤) سورة الصف، الآية: ٤.

(٥) أبو السعود (٨/٢٤٣).

(٦) الشوكاني، فتح القدير (٥/ ٣٠٨).

فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ، وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١]

ومن كلام أبن القيم في استنباطه أسباب النصر من هاتين الآيتين: الرابع: اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن، وهو جند يقوّي به المتنازعون عدوهم عليهم، فإنَّهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها، فإذا فرقها وصار كل منهم وحده كسرها كلها [٢].

ويذهب سيد قطب إلى تعليل الفشل الناتج عن التنازع بأنَّه اتباع الهوى، يقول: ((فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم – مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة – فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصرّ عليها مهما تبين له وجه الحق فيها؛ وإنما هو وضع الذات في كفة، والحق في كفة، وترجيح الذات على **الحق أبتداء**) [٣].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٥ –٤٦.

(٢) أبن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية. الفروسية. المحقق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان. الناشر: دار الأندلس – السعودية – حائل < الطبعة: الأولى، ١٤١٤ – ١٩٩٣ ص٤٥٧.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم. دار الشروق. الطبعة الاولى ١٩٧٢م. (١٥٢٨/٣–١٥٢٩).

١٢. الحذر الدائم:

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا خُذُواْ حِذْرَكُمْ فإنَّفِرُواْ ثُبَاتٍ أو انفِرُواْ جَمِيعاً﴾[١] أي: تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم.

١٣. إعداد العدة:

أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب، وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين؛ من السلاح والرمي وغير ذلك، ورباط الخيل[٢]، قال تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخرين مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[٣]؛ فهو يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها[٤]؛ من كل ما يتقوى به في الحرب كائناً ما كان[٥]، إلى أقصى حدود الطاقة، بحيث لا يقعد المسلمون عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتهم[٦]، والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى، وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للإيذان بفضلها على بقية أفرادها [٧] كما ورد تفسير القوة بالرمي في قول النبي ﷺ وهو على المنبر:((ألا إن القوة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٢) الطبري (٦/٢٧٤).

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم(٣/١٥٤٣).

(٥) أبو السعود (٤/٣٢).

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم(٣/١٥٤٤).

(٧) أبو السعود (٤/٣٢).

الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي))[١]، ولعل تخصيصه إياه بالذكر لإناقته على نظائره من القوى[٢]

والغرض من إعداد القوة هو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء المسلمين في الأرض؛ الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون، ومَن ورائهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة. وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم، وإنَّ يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء ألّا يفكروا في الاعتداء على المسلمين، أو الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية[٣].

فالمسلمون مكلفون أنْ يكونوا أقوياء وإنَّ يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة مادياً ومعنوياً سياسياً وإعلامياً واقتصادياً وعسكريا بالأسلحة المتطورة والجنود الأكفاء، ليرهبوا أعداء الله وأعدائهم، ولتكون كلمة اللّه هي العليا.

هذه بعض أسباب النصر التي من خلالها تعود الأمة لسيادتها وعزها ومجدها، وهو يتوافق مع فرض الرسالة، إذ أنَّ الابتعاد عن الاخذ بأسباب النصر على وفق ما ورد في القرآن الكريم هو من اسهم في جزء كبير منه الهزائم التي لحقت بالأمة الإسلامية عبر تأريخها، وعلى وجه الخصوص في العصور المتأخرة، وفلسطين المحتلة خير شاهد على ذلك.

---

(١) صحيح مسلم (١٥٢٢/٣) رقم الحديث (١٩١٧). ينظر كذلك: وأبو داود (١٦/٢) رقم الحديث (٢٥١٤). والترمذي (٢٧٠/٥) رقم الحديث (٣٠٨٣). وابن ماجه (٢/ ٩٤٠) رقم الحديث (٢٨١٣)، والدارمي (٢٦٩/٢) رقم الحديث (٢٤٠٤).

(٢) أبو السعود (٣٢/٤).

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم(١٥٤٣/٣).